الحركة الاستقلالية المغربية : من عريضة

ميلاد الحركة الاستقلالية :

بعد عشرين سنة من المقاومة الشعبية المسلحة التي عمت المغرب شمالا وجنوبا : حركة ماء العينين ، الهبة ، موحى وحمو الزياني ، عبدالكريم الخطابي .... الخ سجلت من خلالها الجماهير الشعبية رفضها البات الخضوع لارادة المستعمر ، واستعدادها لبذل كل التضحيات من أجل صيانة السيادة الوطنية ... بعد هذه المرحلة ، ظهرت في المدن على الصخوص ، اللبنة الاولى لحركة سياسية اصلاحية ستتطور فيما بعد الى حركة جماهيرية من أجل استقلال المغرب .

وبالرغم من أن الاستعمار قد حاول باستمرار عزل المغرب عن العالم الخارجي ، فان هذه الحركة قد وجدت منبعها في الحركة الاصلاحية التي نشأت في الشرق العربي وعرفت بالحركة السلفية في المغرب .

ولقد انبنت هذه الحركة الاصلاحية على أساس ابراز « حقيقة الاسلام » ، فقامت منذ نشأتها بالدعوة الى « تطهير الدين من الخرافات التي الصقت به ، والعودة الى روح السنة المطهرة » ، كما طالبت بحرية الفرد والامة كشرط أساسي لتفتح الدين الاسلامي . وبهذا اكتسبت طابعا وطنيا مناهضا للوجود الاستعماري .

لقد تأثر بعض العلماء المغاربة بهذه الحركة ، نذكر منهم على الخصوص : مولاى العربي العلوى ، وعلال الفاسي ، وأبي شعيب الدكالي ... الخ . فاحتضنوها وأسسوا نواة الحركة السلفية في فاس والرباط ومراكش وطنجة على الخصوص .

وبتنسيق مع الجالية المغربية ، تأسست جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الاسلامية في الشرق العربي ، وجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين ، وجمعية الثقافة العربية بفرنسا .

فقامت هذه النواة الاولى بحملات تدعو فيها المواطنين الى « نبذ الخرافات والتخلص من سلطة المشعوذين الذين يحركهم الاستعمار ، ويترأسهم بعض الاشراف الطامعين في العرش » .
واحتجاجا على «الضهير البربرى» ـ الذى نص سنة ١٩٣٠، على تكوين مناطق للعرب المسلمين، ومناطق للبربر ينوى المستعمر ارغامهم على اعتناق المسيحية ـ خاضت الحركة معركتها السياسية الاولى ، جندت من خلالها الجماهير الشعبية للتنديد بالضهير ، فعمت المظاهرات وقراءة « اللطيف » في مساجد جميع انحاء ابلاد .

وبواسطة هذا التجنيد الجماهيرى ، استطاعت الحركة بالفعل ان تنسف المؤامرة الاستعمارية الرامية الى تقسيم الشعب المغربي ، فارتفعت بذلك الى مستوى **حركة سياسية وطنية** .

وهكذا اخذت هذه الحركة ، اشكالا تنظيمية مختلفة ، تطورت من « كتلة العمل الوطني » ١٩٣٠ الى « الحزب الوطني » ١٩٣٧ ، مرورا « بالحركة الوطنية لتحقيق المطالب ١٩٣٥ ...الخ اعطتها واقعا ملموسا اكثر ، ومكنتها من مواصلة عملها ـ الوعظ والارشاد ـ ونضالها من اجل انتزاع بعض المكتسبات الديمقراطية من النظام الاستعمارى ، مواجهة في ذلك تعسف هذا النظام وقمعه المنهجي .

الا ان عريضة ١٩٤٤ قد شكلت تحولا اساسيا في تاريخ الحركة ، حيث ان مواجهة هذه الاخيرة لواقع النظام الاستعمارى العتيق من جهة ، وطابعها الجماهيرى من جهة اخرى ، قد جعلها تقتنع بعدم جدوى سياسة الاصلاحات في ظل النظام القائم ، وضرورة المطالبة مباشرة بالاستقلال التام والسيادة الوطنية . وهذا هو ما عبرت عنه العريضة التي وقعها ابرز مسيرى الحركة ، والتي كانت عبارة عن ميثاق تأسيسي لحزب الاستقلال.

ولقد تجاوبت الجماهير الشعبية تجاوبا تاما مع هذه الخطوط الايجابية ، فنظمت مظاهرات شملت اهم المدن المغربية ، تأييدا لعريضة ١٩٤٤.

ولقد واجه المستعمر هذا التحرك الجماهيرى بالاسراع لاعتقال مسيرى الحركة ، ومحاولة تصفيتها في مهدها .

لكن رد الفعل الجماهيرى كان أقوى مما توقعه المستعمر ، اذ خرجت مظاهرات شعبية ضخمة في فاس وسلا والرباط ، واحتلت الجماهير الاحياء الشعبية (شالا ، المدينة القديمة بفاس) . ونظمت في الدار البيضاء اضرابات شملت مجمل المرافق الاقتصادية والاجتماعية .

وما كان للنظام الاستعمارى الا ان يسخر جهازه القمعي ضد هذا النضال المشروع بكل وحشية وقساوة ، فاطلق الرصاص على المتظاهرين ، ونظم العمليات الارهابية داخل الاحياء الشعبية .. فكانت الحصيلة الاف القتلى والجرحى ، وعددا من الاحكام بالاعدام نفذت يوم عيد المولد ، وعشرات الاحكام بالاشغال الشاقة ، بالاضافة الى اقفال المدارس في وجه التلاميذ المغاربة ...

ان هذه التضحيات التي اقبلت عليها الجماهير تلقائيا لدليل على تشبثها بشعار الاستقلال التام، ورفضها الصريح للحماية الاستعمارية المفروضة عليها . كما ان مجمل هذا التحرك الجماهيرى شكل مكسبا اساسيا بالنسبة للحركة الاستقلالية وهي تخطو خطواتها الاولى .

تحول كمي ونوعي داخل الحركة الاستقلالية :

ان الحركة الاستقلالية التي اسسها بعض العلماء السلفيين ، سرعان ما ضمت الى صفوفها عناصر البورجوازية الوطنية ، واغلبهم تجار كبار اغتنوا بفضل جميع المخزونات التي ادخروها قبل ١٩٣٩ . والسبب الموضوعي ، هو ان البورجوازية الوطنية قد بدأت تعاني من الضغط الاستعمارى الذى يوقف نموها وتطورها ـ وفي هذا الصدد ، صدر قانون يمنع تأسيس شركة ذات رأسمال مغربي ، باستثناء في الميدان التجارى ـ وهكذا بدأت تلتزم بالقضية الوطنية ، وتنخرط في صفوف الحركة الاستقلالية .

أما الصناع والتجار الصغار ، ويمثلون اكثر من ثلث سكان المدن ، فلقد اصبحوا يعيشون ظروفا جد صعبة نتيجة المزاحمة القاهرة التي تعرضوا لها بسبب منتوجات الاستعمار العصرية ، ونتيجة الحالة المعيشية المزرية للجماهير التي انعكست على التجار الصغار بالافلاس .

واذا اضفنا ان اغلبية المثقفين « التقليديين » الذين يتخرجون من الزوايا وجامعة القرويين على الخصوص ، يواجهون انعدام المناصب الادارية التي تبقى تحت سيطرة الاستعمار ، نكون قد وصفنا القاعدة الجماهيرية التي شكلت الركائز الاولى التي اعتمدت عليها الحركة الاستقلالية غداة تأسيسها . والملاحظ ان مجمل عناصر هذه القاعدة تنتمي الى الطبقة المتوسطة ، ومركزها المدن الكبرى ، حيث خاضت المعارك السياسية الاولى من اجل المطالبة بالاستقلال (حوادث يناير ١٩٤٤).

الا ان الحركة الاستقلالية ستشهد في اواخر الاربعينات تحولا اساسيا في تركيبها الاجتماعي ، وذلك بالتحاق افواج هامة من الفلاحين والعمال بصفوفها .

لقد ادى انتزاع الاراضي من الفلاحين الصغار لصالح المعمرين ، والانخفاض الباهض في اسعار المنتوجات الفلاحية .. الى تدهور مفجع في الحالة المعيشية لجماهير الفلاحين الفقراء ، فتضخمت ظاهرة هجرة الفلاحين الى المدن .

وهذه الظاهرة بالذات ، كانت عاملا اساسيا في ميلاد الطبقة العاملة ، وايضا عامل التصنيع الخفيف الذى اقبل عليه الاستعمار ، سعيا منه لاستنزاف خيرات البلاد وموادها الاولية ، بعد استخراجها او تحويلها تحويلا خفيفا . الا ان هزالة هذه الصناعة ، والحالة المزرية التي تعيشها الجماهير في مجمل القطاعات . قد ولدتا بطالة ضخمة في المدن الكبرى ، وغالبا ما كان مصير الفلاحين المهاجرين هو الانضمام الى جيش العاطلين أشباه العاطلين .

ان عملية تلقيح مجتمعنا بهياكل رأسمالية التي اقبل عليها المستعمر خدمة لمصالحه ، سيكون لها أثر عميق على الهياكل الاقتصادية والعلاقات اجتماعية القائمة .

فبالاضافة الى ميلاد الطبقة العاملة المغربية ـ في ظروف لا ننسى انها كانت جد شاقة وقاسية ـ نلاحظ أن هياكل المواصلات الحديثة من طرق وسكك حديدية وغيرها ، وما نتج عن ذلك من رواج بين المدن والبوادى ، بين الجبال والسهول.. قد لعبت دورا هاما في اذكاء وعي الجماهير الفلاحية بالقضايا العامة ، وتعزيز الوحدة الوطنية بتجاوز الاطار القبلي الضيق ، والرفع من مستوى الوعي الوطني .

والنتيجة الطبيعية لهذه الاوضاع العامة التي تعيشها الجماهير الفلاحية والعمالية ، وجماهير العاطلين واشباه العاطلين ... هي الالتحاق بالحركة الاستقلالية كتعبير موضوعي عن تناقضها مع النظام الاستعمارى ، والجواب على الاستغلال البشع الذى يمارس ضدها .

« الاختيار الثورى » ص ٤

١٩٤٤... الى مفاوضات "ايكس ليبان"

وهكذا انضمت جماهير العمال والفلاحين والعاطلين الى صفوف الصناع والتجار الصغار والمثقفين ، وعناصر البورجوازية الوطنية ، فشكلت بذلك جبهة وطنية عريضة تواجه عدو مشتركا : الاستعمار وحلفاؤه .

ان البورجوازية الوطنية ، مؤسسة الحركة ، هي التي كانت مؤهلة ماديا ومعنويا لقيادة هذا التحالف . ولقد حرصت على تحديد اطار تحركاته منذ الانطلاقة ، حيث أن تأسيس حزب الاستقلال قد تم في اطار الخطوط التوجيهية العريضة التالية:

- الشرط الاساسي لانهاض المغرب هو استقلاله .
- نشاط الفرد في الحياة الاجتماعية يستلزم الحرية .
- الحكم « للملك الشعبي محمد بن يوسف » في اطار ملكية دستورية

الا ان توسيع قاعدة الحركة الاستقلالية ، بادماجها جماهير العمال والفلاحين والعاطلين ... لم يعزز صفوفها كما فحسب ، بل ولد ارتفاعا هاما في مستواها الكفاحي ، وفتح المجال لاساليب نضالية جديدة ، دفعت بالحركة الى ساحة النضال الجماهيري الواسع النطاق والجذري .

النضال النقابي العمالي

لقد عرفت الحركة النقابية العمالية مرحلة نمو وتطور في الربعينات ، وخاصة بعد اعادة تنظيم فرع النقابة الفرنسية (س. ج. ت.) ـ الذي منع سنة ١٩٤٠ ـ وتحويله سنة ١٩٤٦ ، الى الاتحاد العام لكنفيدرالية النقابات المغربية . فبالرغم من التهديدات الادارية ، والتعسفات الاستعمارية ، انخرط العمال المغاربة في الاتحاد العام الى جنب العمال الفرنسيين والاسبان ، ووجدوا بذلك مجالا للرفع من مستوى وعيهم ، وممارسة النضال النقابي .

لقد خاض الاتحاد العام نضالات مطلبية هامة ، وحقق انتصارات في هذا الميدان ، نذكر من بينها على الخصوص : اضراب مارس ـ ابريل ١٩٤٨ ، الذي خاضته عشرات الآلاف من العمال ، وشمل السكك الحديدية والمناجم والموانيء ، وانتصرت فيه الحركة النقابية بتحقيق زيادة في الاجور بنسبة ٥٠٪ ، بالاضافة الى تعزيز الحقوق النقابية.

ان مجمل هذه المعارك النقابية ، قد شكلت بالنسبة للطبقة العاملة مدرسة أساسية لبلورة وعيها الطبقي وتثبيت صمودها وقدرتها الكفاحية.

ولقد عرف الاتحاد العام تطورا هاما في بداية الخمسينات ، وذلك بعد ان قدر ـ بموافقة منظمة س. ج. ت. ـ التحول الى منظمة نقابية مغربية مستقلة . ولقد تأكد الطابع المغربي للمنظمة بالتحاق المزيد من قواعد الحركة الاستقلالية ومشاركتها الفعالة في النضال النقابي .

ان هذا التطور الذى جاء بشكل موازى مع تدهور الحالة المعيشية للطبقة العاملة ، وتصاعد القمع الاستعمارى ، فقد جعلا المنظمة النقابية تطرح مشاكل الطبقة العاملة من زاويتها السياسية : **رفض الحماية والمطالبة بالاستقلال** ، كما أقر ذلك مؤتمر المنظمة الذى انعقد في شهر نوفمبر ١٩٥٠ .

وهذا ارتبطت حلقة النضال النقابي بالحركة الاستقلالية ، مما زادها جماهيرية ، وضاعف طاقاتها النضالية .

ان هذا النمو والتطور الايجابي الذى عرفته الحركة الاستقلالية المغربية ، قد جاء في سياق النمو الذى سجلته الحركة التقدمية في العالم ، على اثر انهزام النازية ، وتعزيز المنظومة الاشتراكية بالدور الاساسي الذى لعبه الاتحاد السوفياتي ضد النازية . وبينما تلحق الثورة الصينية هزيمة شنعاء بالاستعمار والاقطاعية والرجعية ، تحقق الحركات التحررية انتصارات في كل من باكستان وسيلان واندونيسيا وسوريا ولبنان .... التي تتلخص كلها ضد الاستعمار المباشر ، وتحقق استقلالها .

المقاومة وجيش التحرير

أمام تبلور الوعي الوطني لدى الجماهير الشعبية المغربية واقدامها على النضال والتضحية من أجل حقوقها المشروعة ، لجأ الاستعمار الى تصعيد سياسته القمعية ، خاصة على اثر الموجة الرجعية التي اكتسحت فرنسا سقوط الجبهة الشعبية . وهكذا حل حزب الاستقلال سنة ١٩٥٢ ، ونفيت قيادته الى الخارج ـ حيث واصلت النضال السياسي والدبلوماسي من القاهرة على الخصوص ـ ومنعت عمليا المنظمة النقابية بالهجوم على مقراتها واعتقال مسيريها ، وقاست الجماهير من الاعتقالات والتصفيات ...

في ظروف هذا القمع المشدد ، وفي غياب قيادة الحركة الاستقلالية ، أخذت الجماهير الكادحة على عاتقها الدفاع عن القضية الوطنية ومواصلة الكفاح مهما بلغت التضحيات . فمقابل الارهاب الاستعماري ، قررت الجماهير تنظيم العنف الشعبي . وهكذا تأسست الخلايا الاولى للمقاومة المسلحة في المدن ، ونظمت بنجاح عمليات فدائية ضد السلطة الاستعمارية والخونة .

ان هذا الكفاح المسلح قد وجد عطفا وتجاوبا لا حدود لهما في الاوساط الشعبية ، فتضامنت الجماهير مع المقاومين بشتى الطرق ، وشكلت محيطهم الطبيعي والوقائي ، وساهم الشباب والمرأة على الخصوص بشكل فعال في مقاومة الوجود الاستعماري .

وبأتساع تنظيمات المقاومة التي عمت أغلب المدن ، استطاعت التلاحم بالنضال الجماهيرى بأساليب متنوعة . فنظمت مقاطعة المنتوجات الاستعمارية وعبأت الجماهير في مظاهرات ضخمة احتجاجا على نظام الحماية . وتوسع هذا النضال الجماهيرى ليشمل البوادى حيث رفض الفلاحون الفقراء أداء الضرائب ، وقاموا بعمليات نسف أسلكة الهاتف وتصفية الخونة ...

من ابرز مناضلي الحركة الاستقلالية
المناضل علال الفاسي

ان المقاومة المسلحة قد زعزعت بالفعل أعمدة النظام الاستعمارى ، وبثت الفوضي في تنظيماته، في حين انها رفعت من معنوية الجماهير وثقتها في شرعية نضالها .

أما تأسيس جيش التحرير في الشمال والجنوب، فلقد شكل حدثا بالغ الاهمية في تاريخ الحركة الاستقلالية . ذلك أن جيش التحرير لم يحي تقاليد المقاومة الشعبية المسلحة فحسب ، بل لعب دورا أساسيا في ادماج الجماهير الفلاحية في اطار الكفاح من أجل القضاء على الاحتلال والهياكل السياسية والاجتماعية التي سمحت به . واذا كانت هذه الاهداف لم تحتوى على نظرة دقيقة حول بنيات التعويض للنظام القائم ، فانها جعلت من جيش التحرير النواة الاكثر تماسكا داخل الحركة الاستقلالية ، وحلقة هامة في قوى مقاومة الاستعمار .

أما طابعه الوطني ـ حيث تمثلت فيه أغلب المناطق ولو بشكل متفاوت ـ وطابعه الشعبي الديموقراطي الذى فرضته طبيعة المعركة ، وتجانسه العضوى مع الجماهير الغير مسلحة ... كل ذلك جعله مؤهلا موضوعيا ليصبح طليعة ثورة مسلحة .

ان أهداف جيش التحرير المغربي لم تقتصر على تحرير المناطق المغربية المحتلة ، بل أن نضاله كان في اطار وحدة الكفاح المسلح من أجل تحرير شعوب المغرب العربي . وهكذا اقترنت عملية تيزى وزو (الجزائر) بعملية تزى وسلي (المغرب) وخاضت الجماهير المغربية والجزائرية معارك مشتركة من أجل دعم الثورة الجزائرية وتحرير الصحراء المغربية ، وأخذت الوحدة تلتحم في ميدان المعركة .

« الاختيار الثورى » ص ٥

ان هذا الكفاح الوحدوى يمكن اعتباره كامتداد للمجهودات التي بذلتها الحركات الاستقلالية من أجل تنسيق نضالاتها على مستوى المغرب العربي والتي أدت الى تأسيس « مكتب المغرب الغربي » بالقاهرة سنة ١٩٤٧ ـ والذى وحد بين مكتب حزب الاستقلال المغربي ، وحزب الشعب الجزائرى ، وحزب الدستور التونسي ـ ثم تكوين « لجنة تحرير المغرب العربي » برئاسة المجاهد ابن عبد الكريم الخطابي وعضوية ممثلي الحركات الاستقلالية الثلاث .

ا نالكفاح المسلح الذى خاضته الجماهير المغربية في المدن والبوادى ، والمقاومة الشعبية بشكل عام ، قد ألحقا بالاستعمار هزائم متوالية ، وجعلا النصر في متناول الجماهير . كما ان هذا الاسلوب الجذرى في النضال الذى مارسته القواعد الجماهيرية ، قد شكل تباينا واضحا مع توجيه قيادة الحركة الاستقلالية التي غالبا ما فضلت حصر الحركة في أفق اصلاحي مسالم ، كما عملت على ربطها بالملكية مغذية الجماهير بالعواطف والاساطير (السلطان في القمر ...) الشيء الذى ستكون له عواقب وخيمة على مستوى نتائج سنوات من الكفاح .

مفاوضات « اكس ليبان » واجهاض المد الثورى

أمام اجماع الشعب المغربي على مناهضة الاستعمار ، تحالف هذا الاخير مع الاقطاعية ، بل لعب دورا أساسيا في تقويتها وتركيزها .. ولقد اصبح هذا التحالف واقعا ملموسا على الاقل منذ عقد الحماية الذى اكد تبادل المساندة بين الحكم الاقطاعي والنظام الاستعمارى . وهذه هي الاستراتيجية القارة التي لا يمكن أن تنتهي بمجرد بروز خلافات في التكتيك وتناقضات ثانوية .

ولقد برزت بالفعل خلافات في التكتيك أدت الى خلق تيارين في صفوف الاستعمار مقابل تيارين في صفوف الاقطاعية ، فنتج عن ذلك تكوين معسكرين داخل الحلف الاستعمارى الاقطاعي .

● **المعسكر الاول :** تحالف الاستعمار العتيق المتشبث بضرورة استمرار الاحتلال المباشر للمستعمرات والمتمثل في الاقامة العامة ـ مع قاعدة الاقطاع العتيق : قواد (الگلاوى ، المتوكي ...) باشوات ، أعيان ... الخ.

● **المعسكر الثاني :** تحالف القيادة الاقطاعية (الملكية) أو الجناح الاقطاعي « الوطني » مع تيار الاستعمار الجديد . وبما أن قيادة الحركة الاستقلالية قد نصبت الملكية على رأس الحركة ، فان الاستعمار الجديد سيتمكن ، من خلال الملكية ، من ربطها موضوعيا بهذا المعسكر .

ويتلخص تكتيك الاستعمار الجديد في « وضع » الاهليين مكان الاوروبيين في تسيير دواليب الدولة ، مع اعطاء الدولة الجديدة تنظيما واتجاها يربطها ربطا وثيقا « بالوطن الام » السابق ، ويفسح المجال للامبريالية العالمية لتغزو سوقه وتزيد من تقييده . وبتحكمها في سوقه الداخلية والخارجية يمكنها ان تملي عليه سياستها التجارية منها والعسكرية والدبلوماسية » .

ان الصراع بين هذين المعسكرين قد بلغ أشده حينما قرر الاستعمار العتيق فرض مشروعيته ، وقرر اتخاذ القرارات الازمة لسياسته .

وفي هذا الاطار نجد التفسير الوحيد الذى يمكن اعطائه لنفي السلطان محمد بن يوسف ، كما

« الاختيار الثورى » ص ٦

بتاريخ ٥ يناير ١٩٤٨ ، وزع المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي من القاهرة بيانا صحفيا ، اعلن فيه ، تأسيس لجنة لتحرير المغرب العربي التي عمل على تكوينها منذ افلاته من قبضة الاستعمار ، والتي ضمت رؤساء ومندوبي الحركات الاستقلالية في كل من المغرب والجزائر وتونس تحت الرئاسة الفعلية للمجاهد الخطابي .

وفيما يلي بعض النقاط الاساسية التي وردت في الميثاق المتفق عليه من طرف الحركات الثلاث :

« ـ المغرب العربي جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الاقطار العربية ، امر طبيعي ولازم .

ـ الاستقلال المأمول للمغرب العربي ، هو الاستقلال التام لكافة اقطاره الثلاث .

ـ لا غاية يسعى لها قبل الاستقلال .

ـ لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر .

ـ لا مفاوضة الا بعد اعلان الاستقلال .

ـ حصول قطر من الاقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية ... »

« ... نحن في اقطارنا الثلاثة ، نعتبر قضيتنا قضية واحدة ، ونواجه الاستعمار متحدين متساندين ، ولن يرضينا أى حل لا يحقق استقلالنا الناجز ، وسيادتنا التامة .. »

(المصدر : الحركات الاستقلالية في المغرب

علال الفاسي)

أن التصالح المشهور بين « الگلاوى » والقواد والباشوات الخونة من جهة ، ومحمد بن يوسف من جهة أخرى ، لتأكيد على ان الخلاف لم يكن سوى ثانويا بين قوات متواجدة في اطار نفس التحالف الاستراتيجي : تحالف الاستعمار والاقطاع .

الا أن تغلب معسكر الاستعمار العتيق لم يكن الا مؤقتا ، ذلك ان الكفاح البطولي الذى خاضته الجماهير الكادحة ، قد جعل الاستعمار يقتنع يوما بعد يوم على ان المبادرات الشعبية المتمثلة في المقاومة وجيش التحرير ستؤدى حتما باستراتيجيته ... وأصبح التهديد واضحا بحكم الطابع الموحد للنضال على صعيد المغرب العربي .

وأمام هذه الوضعية ، وفي ظروف ما بعد هزيمة ديان بيان فو ، تمكن تيار الاستعمار الجديد من فرض توجيهه ومشروعيته .

ان الاستعمار الجديد قد ادرك الخطر الكبير الذى يهدده نتيجة وحدة كفاح شعوب المغرب العربي ، لا بالنسبة لمصالح الرأسمال الاستعمارى فحسب ، ولكن أيضا لان هذه الوحدة من شأنها أن تقلب ميزان القوى لصالح الجماهير ، وتحقق استيلاؤها على السلطة ، فتقطع الطريق على مطامع الامبريالية والرأسمالية .

وحتى يتمكن من عزل الثورة الجزائرية والاستفراد بها ، بادر بتوقيف المد الجماهيرى التونسي والمغربي . فمنح تونس استقلالا شكليا ، وجعل من قضية السيادة المغربية وكأنها تتلخص في مشكل رجوع السلطان ، فنظم لذلك مفاوضات « اكس ليبان » لاقرار رجوع السلطان ، ومنح المغرب استقلالا صوريا يضمن له استمرار مصالحه ، وذلك في اطار تحالفه الاستراتيجي مع الحكم الاقطاعي . وهكذا فرض تعداد الهيئات المفاوضة واعطاء تمثيلية وافرة للاقطاعية ، وكيف بنود الاتفاقية الخاصة بالاقتصاد والداخلية والجيش بشكل يسمح له ببناء الجهاز التنفيذى للدولة « الجديدة » وتسليمه للحكم الاقطاعي ، وربط المغرب بسياسته واقتصاده واستراتيجيته العسكرية .

ان قيادة الحركة الاستقلالية ، بجميع أطرافها، قد ساهمت **موضوعيا** في فخ الاستعمار الجديد بقبولها التسوية ، بل وقدمته للجماهير على شكل الانتصار الوطني الكبير : انتصار « عودة السلطان الى عرشه » .

وهذا الملك نفسه ـ الذى نظمت من أجله قيادة حزب الاستقلال حملات متتالية لتزكيته من طرف الشعب المغربي وتثبيت وطنيته ـ هو الذى استغل تجميع السلطات في شخصه لبناء أسس الحكم المطلق ، وهو الذى بادر بحل جيش التحرير ، وعرقل تحرير الاراضي المحتلة ، وبث التفرقة والتصفيات في صفوف المقاومة ، وتصفية العناصر التقدمية نهائيا من جهاز الدولة ... وكل هذا ، ما هو الا خدمة موضوعية للمصالح التي يمثلها : مصالح الاقطاع والاستعمار الجديد . وذلك ما عبر عنه المثل الشعبي آنذاك : « المنجل هو المنجل، ما تغيرت غير اليد اللي شاداه » .

والحقيقة المرة ، ان قيادة الحركة الاستقلالية ، قد زكت الوجه الجديد « لمعاهدة الحماية » بقبولها التسوية ، وبتزكيتها التزامات الاقطاع والاستعمار الجديد .

البقية على ص ٨

فيما يلي اهم ما ورد في تصريح احد اعضاء وفد حزب الاستقلال في مفاوضات ايكس ليبان ، وذلك استنادا الى ما نشره « بيار جولي » ، وزير الشؤون المغربية والتونسية آنذاك ، في كتابه : « جمهورية الملك » .

« ان محمد بن يوسف يجسد المغرب بالنسبة لكافة الشبان والنساء . وهذا واقع لا يمكنكم تغييره . وحزب الاستقلال لن يقبل مبدأ مجلس العرش الا اذا وافق عليه بن يوسف .

لكن المشكل الاساسي هو مشكل العلاقات الفرنسية المغربية . ان الحماية الفرنسية قد جعلتنا على اتصال بالعالم بعد ١٤ قرنا من الانعزال حتى باتجاه الاسلام . وبفضل فرنسا تاكدت شخصيتنا ، وبفضل فرنسا كذلك فان هذه الشخصية لا تطلب الا ان تتوزع . اننا نريد ان نصبح بمساعدة فرنسا دولة حرة وذات سيادة . لكننا مستعدين لاحترام المراحل التي تستلزمها الظروف . والاستقلال بدون شك لن يتم اليوم ولا حتى غدا . ان الهدف النهائي من نضالنا هو الاستقلال ، ولكن اذا كان من المستحيل منحنا اياه ، فعلى فرنسا على الاقل ان تعترف رسميا بحق المغرب في التطلع لهذا الاستقلال » .

الحركة الاستقلاليـة ـ تتمة

وهكذا انتكست الحركة الاستقلالية المغربية ، فلـم تتمكن من تحقيق « الاستقلال التـام والناجز » للبلاد ، وأجهض المد الثورى الجماهيرى قبل ان يقوى ويمتن تنظيماته ، ويبلور النظرية الثورية وسط الجماهير الكادحة ، ويكون قاداتها ليرفعهم الى مستوى مسؤوليتهم التاريخية .

خاتمـــة :

اذا كانت الحركة الاستقلالية المغربية قـد انبنت ، بقيادة البورجوازية الوطنية ، على أسس دينية اصلاحية ، فانها سـرعان ما نالت عطف وانخراط أفواج عديدة من الجماهير الكادحـة : الصنـاع والتجـار والمثقفون ، ثم العمـال والفلاحين .. مما جعل منها حركة جماهيريـة واسعة النطاق ، وفتح أمامها آفـاق النضـال الحاسم من أجل استقلال البلاد بأشكال مختلفة : العمل السياسي والدبلوماسي ، النضال النقابي.. التجنيد الجماهيرى ، الكفاح المسلح .

الا ان هذه الاشكال المختلفة في النضال ، كانت في عمقها تعكس تناقضات داخلية ، مصدرهـا التركيب الاجتماعي المتضارب للحركة . وبعد ثلاث سنوات من الاستقلال الشكلي ستولد من صفوف الحركة الاستقلالية ، حركة جماهيريـة شعبية (الاتحاد الوطني للقـوات الشعبية) تعكس اختيارات الجماهير الكادحة ، ورغبتها الاكيدة في مواصلة النضال من أجل الاستقلال الحقيقي .. وهذا لا يعفي البورجوازية الوطنية الاستقلاليـة ـ اذا هي استفادت من التجربة ـ من النضال ضد الامبريالية وحلفائها المحليين . ذلك ان مهـام تحقيق « الاستقلال التام والناجز » ، والتخلص من سيطرة الاستعمار الجديد لا زالت قائمـة ، والى يومنا هذا .